

تفسير البحر المحيط

@ 342 @ قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال أو الإبل ، فحين دخلوا إليه آوى إليه أبويه وقال : ادخلوا مصر ، ورفع أبويه . وخرّوا له ، والضمير في وخرّوا عائد على أبويه وعلى إخوته . وقيل : الضمير في وخرّوا عائد على إخوته وسائر من كان يدخل عليه لأجل هيئته ، ولم يدخل في الضمير أبواه ، بل رفعهما على سرير ملكة تعظيماً لهما . وظاهر قوله : وخرّوا له سجداً أنه السجود المعهود ، وأن الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله : { إِنْ نَرَا يَتُوحَّدُونَ لَكَ فَإِنَّا مِنَ الَّذِينَ لَكَ بِأَنفُسِهِمْ آلَاءٌ } الآية وكان السجود إذ ذاك جائزاً من باب التكريم بالمصافحة ، وتقبيل اليد ، والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير . وقال قتادة : كانت تحية الملوك عندهم ، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة . وقيل : هذا السجود كان إيماء بالرأس فقط . وقيل : كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض . ولفظة وخرّوا تأبى هذين التفسيرين . قال الحسن : الضمير في له عائد على أي : خروا الله سجداً شكراً على ما أوزعهم من هذه النعمة ، وقد تأول قوله : رأيتهم لي ساجدين ، على أن معناه رأيتهم لأجلي ساجدين . وإذا كان الضمير ليوسف فقال المفسرون : كان السجود تحية لا عبادة . وقال أبو عبد الله الداراني : لا يكون السجود إلا لله لا ليوسف ، ويبعد من عقله ودينه أن يرضي بأن يسجد له أبوه مع سابقته من صون أولاده ، والشيخوخة ، والعلم ، والدين ، وكمال النبوة . وقيل : الضمير وإن عاد على يوسف فالسجود كان لله تعالى ، وجعلوا يوسف قبله كما تقول : صليت للكعبة ، وصليت إلى الكعبة ، وقال حسان : % (ما كنت أعرف أن الدهر منصرف % .

عن هاشم ثم عنها عن أبي حسن أليس أول من صلى لقبلكموا عرف الناس بالأشياء والسنن . %)

وقيل : السجود هنا التواضع ، والخرور بمعنى المرور لا السقوط على الأرض لقوله : { وَاللَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَافٍ هَافٍ وَمَا يَكُونُ لَهُمْ مَقَامٌ يَتَذَكَّرُ فِيهِ لِيُذَكِّرُوا } أي لم يمرّوا عليها . وقال ثابت : هذا تأويل رؤيائي من قبل أي : سجودكم هذا تأويل ، أي : عاقبة رؤيائي أن تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين : ومن قبل متعلق برؤيائي ، والمحدوف في من قبل تقديره : من قبل هذه الكوائن والحوادث التي جرت بعد رؤيائي . ومن تأول أن أبويه لم يسجدوا له زعم أن تعبير الرؤيا لا يلزم أن يكون مطابقاً للرؤيا من كل الوجوه ، فسجود الكواكب والشمس والقمر يعبر بتعظيم الأكابر من الناس . ولا شك أن ذهاب يعقوب عليه السلام مع ولده من كنعان إلى مصر لأجل يوسف نهاية في

التعظيم له ، فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا وعن ابن عباس : أنه لما رأى سجود أبويه وأخوته هاله ذلك واقشعر جلده منه . وقال ليعقوب : هذا تأويل رؤياي من قبل ، ثم ابتداء يوسف عليه السلام بتعديد نعم الله عليه فقال : قد جعلها ربي حقاً أي : صادقة ، رأيت ما يقع في المنام يقظة ، لا باطل فيها ولا لغو . وفي المدة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض . قيل : ثمانون سنة ، وقيل : ثمانية عشر عاماً . وقيل : غير ذلك من رتب العدد . وكذا المدة التي أقام يعقوب فيها بمصر عند ابنه يوسف خلاف متناقض ، وأحسن أصله أن يتعدى إلى قال : { وَأَحْسَنَ كَمَالًا أَحْسَنَ اللَّسَنُ الْيَدُ الْيَدُ الْيَدُ } وقد يتعدى بالباء قال تعالى : { وَالْبَالُغُونَ إِحْسَانًا } كما يقال أساء إليه ، وبه قال الشاعر :
% (أساء بنا أو أحسنني لا ملومة % .
لدينا ولا مقلية إن تقلت .
%) .

وقد يكون ضمن أحسن معنى لطف ، فعاده بالباء ، وذكر إخراجهم من السجن وعدل عن إخراجهم من الحب صفحاً